المحاضرة الثالثة: العلماء الجزائريون.

1-مكانة العلماء ووظائفهم:

اصطف الله العلماء وطلاب العلم كالمجاهدين في سبيل الله، فقد منح الاسلام مكانة كبيرة للعلماء وطالب العلم، وعندما كان العلماء يستشارون في كل كبيرة وصغيرة من شؤون الحكم والرياسة، وصلت الدولة الاسلامية الى مشارق الارض ومغاربها، وكانت الاندلس منارة علم للعالم أجمع. ولما اصبح العلماء يقتاتون من موائد الحكام، سلط الله على الدويلات الاسلامية العدو من كل مكان، فأفل نجم الاسلام بسبب تراجع مكانة علماء الاسلام في ديارهم.

كانت مكانة العلماء في بلاد المغرب الاسلامي محفوظة دائماً، وكان المغرب الاوسط في عهد الزيانيين والحفصيين حماة للدين الاسلامي ومصابيح تنير الطريق في الليلة الظلماء.

وعندما انضوت الجزائر تحت الحكم العثماني، بدأ عصر تراجع العلماء عن دائرة الحكم والسلطة، واصبح العالم له اختصاصاته ومجالاته كالقضاء والامامة والخطابة والتدريس والافتاء، وهي مجالات ذات أهمية كبيرة في الدولة والمجتمع، وللأسف أن التنافس والخداع والصراع بدأ يستشري في نفوس بعض العلماء، فكثرت مؤامرات العلماء على بعضهم البعض، فاستغل الحكام والسلطة هذا الظرف لصالحهم وعندما ازدادت السلطة نفوذاً تراجع دور العلماء الى مرحلة الضعف، واستغلت قلة من العلماء هذا الوضع ليتمكنوا من تحقيق امتيازات الحضوة من العلماء.

ويذكر ابو القاسم سعد الله في الجزء الاول من تاريخ الجزائر الثقافي بعض الأمثلة عن هذه الحالة من علماء الجزائر، فها هو سعيد قدوره لا يكتفي بمكانته العلمية ويشارك التجار في تجارتهم لغرض الربح المالي، والمفتي أحمد بن الزروق بن داود كانت له ثروة معتبرة، ويضاف اليه كل من سعيد المقري وعمر الوزان في الثروة والجاه والمنصب.

ويبقى منصب الفتوى منصباً هاماً في الدولة وفي داخل المجتمع، فهناك عدد كبير من العلماء تقلدوا منصب المفتي المالكي أو الحنفي. و من الخصائص التي يجب أن يتحلى بها المفتي قوة الشخصية والشجاعة ويمتلك الثقافة والعلوم الشرعية حتى يتجنب الخطأ في مسائل الفتوى. ويأتي القضاء على درجة من الأهمية، والقاضي له مكانة كبيرة في التاريخ الاسلامي من حيث تنظيم المجتمع في الحقوق والواجبات.

ثمّ تأتي الخطابة في المساجد الكبرى، وامام المساجد الرئيسية في عواصم البيالك ودار السلطان، يحظى الامام بالمكانة الكبيرة لما يتمتع به بعض الأئمة من شجاعة أدبية في اثارة مشاعر وحماسة الناس ضد السلطة الحاكمة، فيتم التقرب منه لعل وعسى يكون من اصحاب السلطة. وتبقى وظيفة التدريس من الوظائف القليلة الاهمية لدى العلماء نظراً لقلة مداخيلها ومكانتها لدى بعض العامة من الناس.

2-علاقة العلماء بالحكام:

شجّع الوضع السياسي المضطرب والفوضى السائدة في المغرب الاسلامي والحروب بين دويلاته طوال عقود من الزمن، إسبانيا الكاثوليكية على تطبيق حرب الاسترداد بعد سقوط قلعة الاندلس كلياً سنة 1492. فبادرت باحتلال سواحل المغرب من مدينة طنجة غرباً الى مدينة برقة شرقاً، واستسلمت معظم الامارات السياسية لحكم ملوك اسبانيا بداية من القرن السادس عشر، مما أدى الى انتشار حالة من الجهاد بقيادة العلماء والمرابطين وزعماء الزوايا داخل امارات المغرب الاسلامي الاوسط، والتي تواصلت مع الإخوة بربروس الذين يجوبون شرق البحر المتوسط بعمليات بحرية ضد سفن المسيحيين، الأمر الذي ترك استحساناً لدى علماء وتجار وأعيان مدن بجاية وجيجل ومدينة الجزائر، الذين سارعوا الى الإستنجاد بهم والمتواجدين بالبلاد التونسية.

ووفقاً لهذا الامر، راسل أعيان مدينة بجاية الاخوة بربروس برسالة جاء فيها <...إن كان ثمّة مغيث فليكن منكم أيها المجاهدون الابطال، لقد صرنا لا نستطيع أداء الصلاة أو تعليم أطفالنا القرآن الكريم لما نلقاه من ظلم الاسبان، فها نحن نضع أمرنا بين أيديكم جعلكم الله

سبباً لخلاصنا بتسليمه ايانا اليكم، فتفضلوا بتشريف بلدنا وعجلوا بتخليصنا من هؤلاء الكفار....>.

لقد سارع خير الدين بربروس بوضع يده بيد المرابطين والعلماء والفقهاء، فوجد منهم حماساً عظيماً للجهاد ضد الاسبان، ومن هنا اكتسب عروج قاعدة معنوية من طرفهم استغلها لاحقاً ضد سالم التومي حاكم مدينة الجزائر، ومن هنا تشكلت نقطة تفاهم بين العلماء والعثمانيين لتستمر فترة طويلة من الزمن، باعتبار أن العثمانيين هم المنقذين الرئيسيين لبلاد المغرب الاسلامي.

لقد كان الولي الصالح أحمد بن يوسف الملياني من المرابطين الاوائل الذين اتصلوا بالعثمانيين في منطقة الغرب الجزائري بزعامة عروج سنة 1517، ومن تحالف العثمانيين مع المرابطين، كما اتصل خير الدين بالمرابط سيدي أحمد الكبير الأندلسي سنة 1535 بمدينة البليدة.

والجدير بالذكر، فإن العلماء والمرابطين وزعماء الزوايا والفقهاء، كانوا يمثلون الرأي العام في مدن وأرياف الجزائر، وقد تراوحت العلاقة بين العلماء والسلطة العثمانية الحاكمة ما بين التقارب والقطيعة، وهو أمر طبيعي في علاقة السلطة الزمنية بالسلطة الدينية.

أ- أسباب التقارب:

شجعت الوضعية السياسية للجزائر والتي كانت ترزخ مدنها الساحلية تحت ، وجعلت اسبانيا الكاثوليكية كل همها في فرض هيمنتها على سكان الجزائر، وزاد الحقد الاسباني على الجزائر بعد تحالف سكان مدن الجزائر مع الدولة العثمانية لتصبح الجزائر ايالة عثمانية تحت حماية السلطان العثماني.

كان لهذا الأمر تأثيره الواضح على العلاقة بين السلطة العثمانية والعلماء وزعماء الزوايا والطرق الصوفية، حيث ازدادت العلاقة قوة بتوحد الأهداف المشتركة بين الطرفين في طرد

القوات الاسبانية من مدن الجزائر الساحلية، وخاصة من عاصمة الإيالة مدينة الجزائر المحروسة.

وكما هو واضح للطرفين، فإن العدو الاسباني الصليبي عدو للطرفين، وهو يقوم ويستمر في الاعتداء على الابرياء من مسلمي الاندلس وسكان سواحل المغرب الاسلامي، وحملت السلطة العثمانية على عاتقها لواء الجهاد ضد اسبانيا، مما ترك الأثر الايجابي في نفوس العامة من الناس والعلماء من مختلف الاتجاهات.

لقد لعبت الزوايا والطرق الصوفية والعلماء دوراً هاماً في تعبئة وتجنيد الناس والأتباع من المجاهدين للقتال الى جانب الجيش العثماني في الجزائر ضد الإسبان خاصة والاوربيين عامة. وكانت قصائد الشعراء ملهمة لمشاعر العامة من الناس في استنهاض همم الجهاد ضد اسبانيا الكاثوليكية، وأبرز مثال لذلك قصائد الفقيه والأديب الشاعر محمد بن محمد بن علي بن أقوجيل الذي استثار عواطف العامة من الناس وإرادة السلطة الحاكمة في طرد الاسبان من مدينة وهران بعد محاولة سنة 1708 في عهد الداي بكداش بقوله:

جهز جيوشا كالأسود وسرحن..... تلك الجواري في عباب البحور

أضرم على الكفار نار الحرب لا.....تقلع ولا تمهلهم بفتور

وبقربنا وهران ضرس مؤلم.....سهل اقتلاع في اعتناء يسير

كم قد أذت من مسلمين وكم سبت .....منهم بقهر أسيرة وأسير.

ولم يكن لزعماء الزوايا والطرق الصوفية الدور الهام في تعبئة السلطة للجهاد، بل كان دور المفتيين الأثر الكبير في نفسية من يتقاعس للجهاد ضد الكفار، وكان الشيخ عبد القادر المشرفي من المفتيين الذين كان لهم الأثر الكبير في إصدار فتوى للجهاد سنة 1764 تحريم تقديم الإعانة للإسبان والوقوف معهم ضد المسلمين.

وجاء تحرير مدينة وهران النهائي سنة 1792، ليجسد فكرة التحالف بين السلطة والعلماء في أسمى معانيها، عندما بدأ الباي محمد بن عثمان الكبير في وضع مشروع تحرير مدينة وهران نهائيًا، فقد استمال الفقهاء والعلماء وزعماء الزوايا والطرق الصوفية وقربهم اليه،

ووظف العلماء كمستشارين وقضاة في دواليب الادارة من أجل انجاح عملية تحرير المدينة، وهذا ما تمّ فعلا عندما شارك طلاب الزوايا والعلماء في المعركة النهائية لهذا التحدرير النهائي.

وتجدر الإشارة، أن علماء المدن وشيوخ الزوايا والمرابطين تمتعوا باستمرار بوضعية اجتماعية جيدة مقابل الحياد التام وعدم نقد السلطة في المسائل السياسية إرضاءاً للسلطة، وتدخلهم في الأمور العامة لصالح السلطة من أجل عدم إثارة الرأي العام الداخلي.

ب-أسباب القطيعة بين السلطة والعلماء:

إن العلماء يمثلون القدوة والرأي العام داخل المجتمع في الدفاع عن حقوق ومصالح السكان، وعندما ترى هذه الفئة أن السلطة الحاكمة تتجرأ بارتكاب المظالم، فلا بد للعلماء التحرك بمعارضة السلطة مهما كانت قوتها وجبروتها، والسلطة العادلة في كل مكان وزمان تجمع حولها الرأي العام من العلماء وعامة السكان.

وقد اثارت عديد الدراسات التاريخية، مسألة استبداد السلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر طوال حكمها، ما ترتب عنه قطيعة بين السلطة والعلماء. ومن بين اسباب القطعية التي كان لها الأثر الكبير في هذه العلاقة، نذكر الصراع على السلطة داخل دائرة نظام الحكم بين فئات الجيش الانكشاري، فقد ولّد هذا الصراع الكثير من الفتن الداخلية وعدم الاستقرار السياسي الداخلي وجعلت بعض القبائل تعمل على التمرد ضد نظام الحكم الذي بدأ يعيش حالة من المعارضة داخل القبائل، مثل تمرد قبيلة فليسة 1767 وقبيلة أولاد نايل1772، حيث رفضت دفع الضرائب لخزينة الدولة، ما أدى الى أن تعرضت القبيلتان حملات عسكرية لمعاقبتهما على هذا التمرد.

واستمرت سلطة الدايات خاصة في اخضاع القبائل المتمردة بالقوة من خلال ما قام به كل من صالح باي منطقة الشرق الجزائري في اخضاع قبائل المنطقة، ومحمد الكبير باي منطقة الغرب الجزائري في القضاء على تمرد بعض قبائل المنطقة.

وعلى العكس ما كانت تريده السلطة العثمانية في القضاء على أي تمرد مستقبلا، حدث ما كانت تخشاه السلطة في اندلاع ثورات الطرقيين الذين شكلوا على مرّ عقود الحليف الأصيل للسلطة العثمانية، حيث تمرد المرابط الشريف بن الأحرش الذي ينتسب الى الطريقية الدرقاوية مستغلا تدهور العلاقة بين السلطة وسكان بعض قبائل منطقة جيجل، اذ قام بتحريضهم واثارة عاطفة الجهاد ضد الأتراك، سرعان ما توسع التمرد الى مناطق مجاورة من جيجل، حيث ايده الكثير من مرابطي المنطقة، وتوجه ابن الاحرش الى مدينة قسنطينة سنة 1804.

وفي هذه الأثناء شهدت المنطقة الغربية تمرداً آخر بقيادة الطريقة الدرقاوية سنة 1802، بزعامة عبد القادر بن الشريف الساحلي الملقب بالدرقاوي، سرعان ما توسع التمرد الدرقاوي الى الجهة الغربية واصبح يهدد المطقة بأكملها. وامتد التمرد الى بايلك الوسط بقيادة قبائل جندل ومطماطة وقبائل الشلف، وشكلت هذه الوضعية امتحاناً صعباً للسلطة العثمانية في التخفيف من معاناة السكان من حيث فرض الضرائب عليها.

ولم تتوقف السلطة العثمانية في اثارة حفيظة سكان الجزائر في المدن والارياف من خلال إهانة العلماء وعزلهم من مناصبهم وسجنهم بل تجرأت السلطة في قتل العلماء.

ومن اغتيالات السلطة العثمانية ما تعرض له المفتي الحنفي محمد بن مصطفى من اغتيال سنة 1138هـ /1725م، كما قام الباي محمد الكبير بإهانة أحد المرابطين من منطقة تسالا بوضعه فوق حمار واهانته امام السكان، وتروي المصادر التاريخية وقائع لإهانة العلماء والمرابطين مما ادى الى إزياد نفور العامة والعلماء وشيوخ الزوايا وزعماء الطرق الصوفية من السلطة العثمانية وتوسعت القطيعة بين الطرفين، مما ادي هجرة خارجية من طرف علماء الجزائر نحو المناطق المجاورة في المغرب الاسلامي أو حتى الى مناطق في المشرق الاسلامي.

4-هجرة العلماء :(أو التواصل الحضاري بين الجزائر ومحيطها العربي والاسلامي).

تميز علماء الجزائر بحبهم للهجرة من أجل الاستزادة من العلوم القرآنية. وكانت هجرتهم من أجل الله ورسوله، وحبهم للمعرفة الاسلامية، والتعرف على إخوانهم في الدين واكتشاف أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية والعلمية. ومن هنا اعتبر علماء وفقهاء الجزائر الهجرة واجب شرعي لابد من تنفيذه، ولا تخلو مدن العلوم في البلاد المغاربية والحجازية من جزائريين استقروا فيها لأجل طلب العلم كواجب شرعي ايضاً، ومن خلال ذلك، يمكن لنا تعريف الهجرة كما يلي.

أ-تعريف الهجرة:

ارتبطت لفظ الهجرة في التاريخ الاسلامي بهجرة الرسول(ص) من مكة الى المدينة لنشر الدعوة الاسلامية، وهي هجرة إجبارية دعت الضرورة لذلك من خلال الحصار الذي فرضته قريش على رسول الله وأتباعه من المسلمين. وهكذا بقي لفظ الهجرة يمثل حدثاً مقدساً عند المسلمين من العلماء والذين استشعروا كذلك من أحاديث الرسول(ص) في حبه للهجرة لطلب العلم.

ومجمل القول، فإن الهجرة يقصد بها ترك الانسان والجماعة مكان اقامتهم وسكناهم والانتقال الى مكان آخر داخل البلد أو خارجه تحت مجموعة من الأسباب، وتنقسم الهجرة الى هجرة مؤقتة وهجرة دائمة.

فالهجرة المؤقتة يقصد بها تلك التي يقوم بها الفرد بالانتقال خارج البلاد بنية قضاء مصالحه أو الذهاب للحج أو لطلب العلم ثم العودة مجدداً الى وطنه. أما الهجرة الدائمة يقوم الفرد والجماعة من خلالها بالاستقرار النهائي في البلاد المهاجرة لها بسب الحروب والفتن والثورات وغيرها.

أما هجرة علماء الجزائر لطلب العلم نحو المغرب الأقصى أو نحو تونس ومصر أو نحو بلاد الحجاز، فقد اصطلح عليها بالرحلة الحجازية على وجه الخصوص، وهي التي

سوف نخصص لها الحيز الكبير في هذا العمل نظراً لأهميته وارتباط الجزائر بعمقها التاريخي والديني والحضاري.

ب-أسباب هجرة علماء الجزائر باتجاه البلاد المغاربية والمشرقية:

تعددت أسباب هجرة علماء وطلبة الجزائر نحو البلاد العربية مغراً ومشرقاً، والتي يمكن حصرها في مايلي:

-التاريخية والجغرافية:

إن الموقع الجغرافي للجزائر في قلب المغرب الإسلامي عزز من سيطرتها على الممرات المائية لغرب البحر الأبيض المتوسط، بوجود مدن على الشريط الساحلي تمتلك موانئ عبور مثل مدينة الجزائر وبجاية وعنابة وجيجل ومستغانم ومدينة وهران وتنس، هذه الموانئ كانت نقاطاً للتزود بالحاجيات المتعددة التي تحتاجها السفن التجارية من ماء وغذاء ومواد، وهي نقاط اِلتقاء المدن الساحلية لغرب المتوسط مع شرقه، ذات الارتباط الجغرافي مع المدن الساحلية لشبه جزيرة الأندلس.

وقد لعبت مدن الجزائر الساحلية دوراً هاماً في التبادل التجاري بين غرب المتوسط وشرقه،إن الموقع الجغرافي للجزائر عزز من مكانة هذا الإقليم السياسية منذ القدم، واستمرت مكانة المنطقة في العصر الوسيط، واستكمل هذا الدور في الفترة الحديثة عند تعزيز الجزائر لمكانتها الإقليمية ووحدتها السياسية وشخصيتها الدولية.

إنّ ارتباط الجزائر حدودياً مع تونس والمغرب الأقصى، ووقوع مصر وبلاد الحجاز غير بعيدة جغرافياً عنها، جعل الجزائر تتفاعل مع الأحداث السياسية على امتداد هذه المنطقة. ولا أدلّ على ذلك أن إقليم المغرب الاسلامي الأوسط، كان مهدًا لميلاد دول عديدة، كانت لها علاقات سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية مع دول في تونس والمغرب الأقصى وبلاد مصر والحجاز.

إن الجزائر جزء من الوحدة التاريخية للمغرب الإسلامي، ولمنطقة المشرق. إذ يدل على التفاعل السياسي بين الوحدات السياسية التي كانت قائمة في أرجاء بلاد المشرق والمغرب. إن هذا الجزء كان له تأثيره الواضح على الوحدات السياسية قديماً، وقد احتفظ بهذا التأثير في علاقاته المتعددة مع الكيانات السياسية المجاورة في الفترة الحديثة.

- الدينية والثقافية :

لقد شكل الدين الإسلامي دائماً الرابط القوي بين سكان بلاد المغرب الأوسط وسكان المغرب الأخرى بل حتى مناطق المشرق والبعيدة. وكان هذا الرابط في إطار قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. وإذا كانت بلاد المشرق قد احتضنت الدعوة الإسلامية ونقلتها إلى مناطق بعيدة مثل بلاد المغرب، فإن هذه الأخيرة دافعت عنها، لعدة قرون ضد الغزو الصليبي في الفترة الحديثة.

وقد ارتبطت الجزائر بالإيالات العربية العثمانية في شمال إفريقيا بروابط إجتماعية وثقافية قوية، نظراً لحركة الهجرة من الجزائر إلى هذه البلاد في إطار حركة التجارة أو في مواسم الحج أو رحلة العلماء لطلب العلم.

وكان الحج وهجرة العلماء يمثلان مظهرين في حركة التواصل بين الجزائر وبلدان المشرق الاسلامي، وكانت قوافل الحج الجزائرية المتجهة إلى بلاد الحجاز، تمر بالمدن التونسية وتعبُر إقليم طرابلس الغرب ثمّ بالمدن المصرية.

وكانت قافلة الحج تُعبّر عن الروابط الدينية المتينة التي تجمع بين مسلمي الجزائر وغيرهم من مسلمي بلاد تونس ومصر والحجاز، واستطاعت هذه الروابط القضاء على كل المعيقات السياسية التي تظهر من حين لآخر بين كيانات المنطقتين.

والجدير بالذكر، فإن الدولة العثمانية لم تفرض حدوداً سياسية تمنع إنتقال علماء المغرب إلى المشرق، بل شاعت حرية إنتقال الأفراد والجماعات بين البلاد العربية. لقد منحت الدولة العثمانية الحرية الكاملة لأجل الانتقال في إطار حركة التجارة أو القيام بمناسك الحج أو طلب العلم خاصة، بهجرة العلماء وطلاب العلم الى حواضر العلوم ومؤسساتها مثل جامع الزيتونة أو جامع الأزهر أو مساجد الحجاز والشام والعراق.

وهكذا كانت بلاد تونس والمغرب الاقصى محطات علمية لكثير من علماء وفقهاء وطلبة الجزائر، الذين توافدوا على جامع الزيتونة وجامعة فاس. كما كانت بلاد المشرق ايضاً تجذبهم نحو الاستزادة من علوم جامعة الأزهر الشريف بمصر ومساجد بلاد الحجاز والشام. غير أن البلاد المصرية وبموقعها الجغرافي بين الشرق والغرب زادها جذباً، لكثير من الجزائريين لتلقي العلوم على أيدي علماء وفقهاء جامع الأزهر، والذين اختاروا الاستقرار في القاهرة أو مدينة الاسكندرية.

ومن علماء الجزائر الذين توافدوا على مدينة القاهرة، نذكر منهم شهاب الدين المقري(ت1641م) وعيسى الثعالبي(ت 1669م) ويحي الشاوي(ت 1685م) وعبد الرزاق بن حمادوش (ت1791م)، وأبو راس الناصري (ت1823م). وكانت لهؤلاء العلماء في مدن مصر وتونس وبلاد الحجاز مكانة علمية راقية واحتكاك دائم مع علماء هذه المناطق.

-السياسية:

لا يقل هذا السبب أهمية في هجرة علماء وطلبة العلم، بل في بعض الأثناء اعتبر أكثر أهمية، من خلال الظروف السياسية وأزماتها التي مرت بها الجزائر في تاريخها الحديث. حيث تركت معاملة السلطة العثمانية السيئة للعلماء ومؤسسات العلم في الجزائر الأثر السلبي لبعض العلماء الذين فضلوا الهجرة لمناطق أكثر أمناً.

فقد انتقلت أخبار المعاملة السيئة من اضطهاد ومضايقات اتجاه العلماء بسرعة في وسط العامة من الناس والذين تأثروا بشكل كبير لذلك، باعتبار أن العالم والفقيه وطالب العلم في حواضر الجزائر يستأثرون بالمكانة المميزة، ما شكل صدمة لديهم وزادت كراهيتهم للسلطة العثمانية.

ج-نماذج لبعض من هاجروا من علماء الجزائر:

-نحو البلاد المغاربية:

-بلاد المغرب الأقصى: بعض من علماء الجزائر الذين هاجروا طلباً للعلم نحو بلاد المغرب الاقصى.

***أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي أبو العباس التلمساني الونشريسي:** نشأ وتعلم بمدينة تلمسان على يد كبار علماء المدينة، كالإمام أبي الفضل قاسم بن سعيد العقباني والخطيب الصالح ابن مرزوق والامام محمد بن العباس وابي الجلاب. فرّ الى بلاد المغرب الاقصى وبالضبط الى مدينة فاس، نظراً لجرأته في مخاطبة الحكام بالحق مما ادى بالسلطة في مدينة تلمسان أن تأمر بالقبض عليه ومصادرة أملاكه سنة 874هـ/1469م. وأصبح من المدرسيين الذي يُقبل عليه الطلاب، وتخرج عليه عدد من العلماء مثل الفقيه أبي عباد بن مليح اللمطي، الشيخ أبي زكرياء السوسي، الفقيه المحدث محمد بن عبد الجبار الورترغيري، والعلامة محمد ابن الغرديس وغيرهم، ومن آثاره العلمية العيار المعرب عن فتاوي علماء افريقيا والاندلس والمغرب، توفي رحمة الله عليه بتاريخ 1508م.

***محمد بن عبد الرحمن بن جلال التلمساني:** ولد بتلمسان سنة 1502 تلقى العلوم القرآنية بمساجد ومدارس تلمسان، هاجر الى فاس سنة 1551 للتبحر في العلوم على يد علماء وشيوخ جامعة القرويين مثل الفقيه عبد الله محمد بن موسى، توفى سنة 1573.

وهناك مجموعة أخرى من علماء الجزائر الذين هاجروا الى بلاد المغرب الأقصى، مثل ابو عبد الله محمد سعيد قدوره الجزائري(1678)، ابو الحسن جابر بن أحمد بن ابراهيم الحسني التلمساني(توفى أواخر القرن 16)،احمد بن محمد جيدة الوهراني(ت1548)، أحمد بن محمد المقري(1578-1631)، محمد بن أحمد الحسيني الكماد(توفى 1704).

- **بلاد تونس:** بعض من علماء الجزائر الذين هاجروا طلباً للعلم نحو تونس.

***أحمد بن عمار الجزائري (توفى1790).**

هو أحمد بن عبد الله بن عمار الملقب بأبي العباس، وعرف بابن عمار، فقيه ومفت مالكي، وأديب وشاعر، ولد بالجزائر سنة1119هـ/1707م، تلقى أحمد بن عمار تعليمه بالمدينة على يد عدد من علمائها وفقهائها، ثم قام بالتدريس في الجامع الاعظم ثم تولى وظيفة الافتاء على المذهب المالكي، ومن انتاجه العلمي نذكر على سبيل الحصر نحلة اللبيب، ولواء العصر في فضلاء العصر، وحاشية على الخفاجي، توفى رحمة الله عليه سنة 1790، وقد ذكرت المصار التاريخية انه هاجر الى تونس وفيها ناظر عدد من العلماء والف عدة رسائل في الادب والتفسير، وكتب عن سيرة الباي التونسي علي باشا بن حسن وكان صديق للوزير حمودة بن عبد العزيز.

***عبد الرزاق بن حمادوش (توفى 1791).**

هو الطبيب عبد الرزاق بن حمادوش ولد بمدينة الجزائر سنة 1695، تلقى علومه في سن مبكرة على يد مجموعة من العلماء، وبعد أن استكمل تعليمه العام في مدينة الجزائر، بدأ في زيارة الحواضر العلمية في فاس والزيتونة حيث استكمل دراسته العليا على يد شيوخ العلم في هذه المدن. وكان اهتمامه واضحاً في مجال الطب، وأخذ العلوم الطبية من أمهر أساتذة الطب مثل العلامة عبد الوهاب الأدرق، وكان كثير المطالعة على كتب الطب مثل كتب ابن

سينا وابن البيطار، ومن كتبه في هذا الميدان كتاب كشف الركوز في بيان الأعشاب، وكتاب الجوهر المكنون، وتوفى رحمه الله سنة 1791م.

وهناك عدد من علماء الجزائر الذين توافدوا على تونس لطلب العلم في الفترة الحديثة، وكثير من علماء الجزائر الذين استفادوا من مختلف العلوم التي كانت تزخر بها جامعة الزيتونة التي وفرت للجزائريين المناخ السليم من أجل الولوج الى بواطن العلوم النقية المختلفة والتي استفادت منها تونس ايما استفادة.

- **بلاد مصر**: بعض من علماء الجزائر الذين هاجروا طلباً للعلم نحو البلاد المصرية.

كانت مصر وجامعها الأزهر قبلة علماء وطلبة الجزائر في العهد العثماني، فقد توافد عدد كبير منهم، كما استقر الكثير منهم في مدينتي القاهرة والإسكندرية، مثل الأديب بن عمار(ت1790م) وأحمد بن قاسم بن ساسي البوني(ت1762م) والشيخ محمد بن محمود العنابي الجزائري(ت1850م) والشيخ الفقيه عبد الرزاق بن حمادوش(ت1783م).

ويمدح المؤرخ المصري الجبرتي أحد علماء الجزائر وهو أبو العباس الجزائري بقوله «... مهر في الآلات والفنون... وأقرأ الطلبة وراج أمره لفصاحته ... صارت له في الرواق كلمة... واحترامه علماء مذهبه... وكان مجاجا عظيم المراس....» ، ويصف الجبرتي عالمًا جزائريًا آخر وهو أبو الحسن بن عمر علي القلعي« ...كان وافر الحرمة نافذ الكلمة معدودًا فيها من المشايخ الكبار....».

ويتحدث أبو راس الناصري عن وجوده في مصر «... ركبت البحر إلى مصر، ودخلت بناءها المبهت المعجب... دار العلوم الزاهرة بالأزهر... لقيت بها العلماء الكبار أهل العلم والأدب... اجتمعت مع علماء مصر بالجامع الأعظم وتناظرنا وتذاكرنا في مسائل جمة....».

وكانت لأبي راس الناصري المعسكري مكانة لدى علماء وطلبة مصر والحجاز، كما كان للشيخ عبد الكريم الفكون (ت1662م) كذلك مكانة لدى أمراء وولاة البلاد التي كان يمر بها أميرًا لركب الحج الجزائري. ومهما كان من ذلك الأمر، فإن علماء الجزائر مهما بلغهم من رغد العيش والحياة بعيدًا عن أوطانهم في البلاد المغاربية أو الحجازية، فإنهم يذكرون بلادهم بالخير وخير مثال ما قاله العلامة الجزائري أحمد البجائي(ت ق15م) في مطلع قصيدة:

سلو من سلا ذكر الحبيب ومادنا ولم يدر أن القلب أولى لمن دنا

وبعد ذلك يذكر بلاده وحبه لها، وأهلها بالخير وبالعاطفة الجياشة وبالتأثر ويقول (... فان ساكن لهذه الأرض من علماء وطلبة عند استحضارهم لأشواقهم تشتعل نار المحبة والاعتزاز بها....).

***يحي الشاوي:** هو يحي بن محمد بن عبد الله بن عيسى أبو زكريا النائلي الشاوي المغربي المليانى المالكي. ولد مليانة حوالي1621، تلقى تعليمه بمسقط رأسه، ثم قصد زاوية الشيخ ابهلول المجاجي شمال مدينة الشلف حالياً، ثمّ انتقل الى مدينة تلمسان لينهل العلم على علمائها لين التقى بهم في المدينة مثل سعيد قدوره، وبعد وقت قصير من تواجده بمدينة تلمسان قفل راجعاً الى مدينة الجزائر التي تلقى فيها علوم التوحيد والفقه والتفسير والحديث وعلوم النحو والبلاغة. إلا أن بلوغه مرحلة العلم الواسع جعلته يهاجر الى بلاد والحجاز، لتوسيع مداركه العلمية جيداً. فبعد رحلته الى البقاع المقدسة، زار مصر وجامعها وتلقى علوم أخرى في الفقه والمنطق، ثمّ قام بالتدريس في بعض مدارس القاهرة. وكان الشاوي واسع العلم ومن إنتاجه العلمي الواسع، نذكر كتاب حاشية على شرح العقيدة الصغرى، ورسالة في أصول النحو، وكثرة كتبه التي تركها اينما رحل وارتحل، رحم الله شيخنا وعالمنا يحي الشاوي.

*** أحمد بن القاسم البوني:(1653-1726)**

هو أحمد بن قاسم بن محمد ساسي البوني التميمي، ولد بمدينة بونه(عنابة)، تعود اصوله الى اسرة عريقة في العلوم والتصوف، تلقى تعليمه الأولي على يد أفراد عائلته جده ثمّ ابوه، وقد برع في عدة علوم منها الحديث والفقه. هاجر الى تونس ثمّ مصر وبلاد الحجاز، فأخذ العلوم الدينية على يد عدد من علماء مصر في جامعها ومدارسها، وبعد ذلك عاد الى مسقط رأسه بونه، التي نال فيها مكانة علمية عالية بين العلماء والعامة من الناس.

له كتب كثيرة مثل كتاب فتح الباري في شرح البخاري، والالهام والانتباه في رفع الابهام والاشتباه، والظل الوريف في الحث على العلم الشريف وغيرها رحم الله عالمنا.

لقد أسهم علماء الجزائر الذي هاجروا الى البلاد المغاربية والمشرقية بعلمهم وتعدد مواهبهم، في مجال التدريس والمناظرات والانتاج الفكري، واكتسبوا مكانة كبيرة في مجتمعات غيرهم بين العامة والخاصة من العلماء، وتميز تواجدهم بين الناس بأخلاق اسلامية عالية شهد لها علماء وطلبة مدارس وجامعات تلك البلدان.

وقد تخرج على أيديهم عدد من طلبة العلم، بل تقرّب اليهم امراؤها وحكامها وسلاطينها بالمكانة والهدايا والاموال نظير تفوقهم ، وترك انتاجهم الفكري احترام العلماء وتتزين مكتباتهم اليوم بكتبهم الجليلة، وتقام لهم ايام دراسية تاريخية أو فقهية للتذكير بهم نظير مكانتهم بين علماء عصرهم.

5-العلماء المسلمون الجزائريون:

يذكر المرحوم أبو القاسم سعد الله في مؤلفه تاريخ الجزائر الثقافي في الجزء الاول (1500-1830) " من الصعب تحديد عدد العلماء الذين وردوا على الجزائر خلال العهد العثماني وبيان وظائفهم وذكر بلدانهم ونوع ثقافتهم وأهدافهم. فالعالم الاسلامي كان وطناً واحداً ينتقل فيه العالم من طرفه الى طرفه الآخر دون أن يسأله أحد أين هو ذاهب. وكان العلماء من حيث المبدأ لا وطن لهم....".

ومن أهم العلماء الذين توافدوا على مدن الجزائر، ونظراً للقرب الجغرافي مع كل من المغرب وتونس، فقد كان علماء بلدان المغرب الاسلامي يتبادلان الزيارات العلمية فيما بينهما.

ومن علماء المغرب الاقصى الذين توافدوا على الجزائر، وهم كثيرون مروا على مدن الجزائر في رحلتهم الى البقاع المقدسة مشياً على الاقدام، وكانت لهم حركة واسعة في مدن الجزار وحواضرها ومنهم علي بن عبد الواحد الانصاري- ابو القاسم الزياني- علي بن محمد التمغروطي- محمد التواتي- أحمد الفاسي – محمد الفاسي – عبد القادر بن أحمد بن شقرون الفاسي –أحمد العياشي – إبن زاكور- أحمد الورززي.

كما توافد عدد من علماء تونس الى مدن بايلك الشرق الجزائري لزيارة مارسها ومساجدها، – أبو حفص عمر بن محمد – محمد زيتون التونسي – أحمد بن برناز التونسي – محمد الشافعي الباجي – احمد الأصرم – الشيخ فتح الله .

أما العلماء المسلمون الجزائريون، فقد اجتهد كثير من الباحثين الجزائريين في اعداهم لتراجم ومعاجم غاية في الأهمية، قدمت تلك التراجم معلومات تساعد الباحث في الدراسات التاريخية تتبع حركة العلماء بين البلدان الاسلامية.

وتجدر الاشارة الى أن المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله، تطرق الى الكثير عن الحياة العلمية لعلماء الجزائر في موسوعته الثقافية والتي من الأهمية رجعنا اليها في هذا البحث، كما هناك تراجم أخرى لباحثين جزائريين مثل معجم مشاهير النغاربة لمجموعة من المؤلين الجزائريين وعلى رأسهم الباحث ناصر الدين سعيدوني وآخرون، وابو القاسم الحفناوي في مؤلفه تعريف الخلف برجال السلف(1852-1943) معجم المؤلفين للباحث السوري رضا عمر كحاله(1905-1987)، وموسوعة العلماء والادباء الجزائريين لمجموعة من الباحثين الجزائريين تحت اشراف الاستاذ رابح حيدوسي.

وعليه قمنا بوضع نماذج لبعض علماء الجزائر وفق مناطق تواجدهم اعتمادًا على التقسيم الاداري للجزائر خلال العهد العثماني.

*** نماذج أعلام الفكر والثقافة في دار السلطان:**

-محمد بن عبد الرحمنالأزهري (ت1793)،- عيسى بن محمد بن محمد بن أحمد عامر الثعالبي(ت1669)،- إبن حمادوش(ت1791)،- حمدان بن عثمان خوجه (ت1840)، - يحي الشاوي(ت1685)،- إبن عمار(ت1790)،- سعيد قدوره(ت1656)،- إبن ميمون الجزائري(تق18)،-عبد الرحمن بن عبد القادر الراشدي المجاجي الجزائري(ت1611).

*** نماذج أعلام الفكر والثقافة في بايلك الشرق:**

- أحمد بن قاسم البوني(ت1726)، - محمد بن محمود بن محمد العنابي (ت1850)، - صالح بن محمد بن أحمد العنتري(ت1876)، - عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون القسنطيني(1580-1662)،- أبو الحسن بن عامر بن علي القلعي (ت1785).

*** نماذج أعلام الفكر والثقافة في بايلك الوسط:**

- الفقيه محمد بن الحاج سلامة (تولى القضاء في القرن 18)، - الفقيه العربي بن الحاج سلامة (تولى القضاء سنة 1778)، - إبن عيسى بم مزيغي (ت بداية القرن 18)، - عبد الله محمد بن عيسى الصغير(ت 1622)، - الشيخ سيدي أحمد بن أبي زيان (ت1709)، الحاج بن الدين الأغواطي(ت ق19).

*** نماذج أعلام الفكر والثقافة في بايلك الغرب:**

- المجاجي محمد بن علي (ت1594)، -شهاب الدين المقري (ت1631)، -أبو راس الناصري(ت1823)، - أحمد بن يحي الونشريسي (ت1508)، - ابو العباس أحمد بن محمد الواحد الونشريسي(ت1509)، - أحمد بن محمد جيدة الوهراني(ت1548)،- أحمد بن محمد المقري(ت1631).

*** نماذج أعلام الفكر والثقافة في الجنوب:**

- عبد الرحمن الأخضري (ت في ق16)،- الأفضلي أبو زكريا صالح (ت 1805)، - أبو العباس أحمد التيجاني (ت1814)، عبد العزيز بن الحاج بن ابراهيم ضياء الدين الثميني (ت1808).